مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 04 / السنة: 2023 ص ص:140- 153

جوانب من تأثير بلاد المغرب على الحياة الاجتماعية للسودان الغربي والأوسط ما بين القرنين 06-12هـ/12-18م.

Aspects of the Influence of Maghreb Countries on the Social Life of Western and Central Sudan between the Centuries 06-12 AH / 12-18 AD.

حرمة عبد الكريم

جامعة أحمد درايعية ادرار (الجزائر)، harma30@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/16 **تاريخ القبول:** 2023/09/25 **تاريخ النشر:** 2023/12/30

ملخص:

نجحت بلدان المغرب عن طريق الدعاة والتجار والفقهاء في نقل النظم الاجتماعية والفكرية والحضارية إلى إفريقيا جنوب الصحراء خاصة بلاد السودان الغربي والأوسط، وساعد ذلك على نشر اللغة العربية واعتناق المنطقة للإسلام وتخلصها من العادات الوثنية البالية، وظهر التأثر جلياً في الحياة الاجتماعية والأسرية حيث تغيرت أغلب العادات والتقاليد سواء في الملبس أو المأكل أو المشرب أو العمران أو الاحتفالات التي أصبحت ذات صبغة دينية.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أهم مظاهر التأثير الاجتماعي للبلدان المغاربية على بلاد السودان الغربي والأوسط، وأهم الوسائل والأساليب المتبعة في تحقيق ذلك؛ ومن ابرز النتائج المتوصل إليها هي معرفة العلاقة المتينة التي أضحت تربط المنطقتين في جوانب متعددة، والتي بقيت مستمرة ردحاً من الزمن ولم تخفت إلا بعد دخول الاستعمار للمنطقة.

كلمات مفتاحية: بلدان المغرب؛ السودان الغربي والأوسط؛ الدعاة والتجار؛ العادات والتقاليد؛ الإسلام.

Abstract:

The countries of the Maghreb succeeded, through preachers, merchants, and jurists, in transferring, intellectual and civilized social systems to sub-Saharan Africa, especially the countries of Western and Central Sudan. This helped in spreading Arabic and led the region to embrace Islam and get rid it of its obsolete pagan customs. The influence of that cultural transfer was evident in social and family life. Most clothing, food, drink, construction, and celebrations customs and traditions changed. They have become religiously characterized.

This research paper aims to shed light on the most important aspects of the social influence of the Maghreb countries on the countries of Western and Central Sudan, and the most important means and methods used to achieve that influence. One of the most prominent findings is the clarification of the strong and multifaceted relationship that bound the two regions and which continued for a long time and did not disappear only after the region was colonized.

Keywords: the Maghreb countries; Western and Central Sudan; preachers and merchants; customs and traditions; Islam.

مقدمة:

شهدت منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، وبالأخص بلاد السودان الغربي والأوسط تأثيرات في مختلف المجالات بفضل احتكاكها ببلدان المغرب، وخاصة بعد وصول الإسلام للمنطقة عن طريق التجار والدعاة، وأبرز هذه التأثيرات كانت في المجال الاجتماعي والفكري والحضاري؛ وذلك من خلال تخلي سكان المنطقة عن عاداتهم الوثنية السيئة، واحتضانهم لعادات وتقاليد بلاد الشمال الإفريقي، وهذا ما أدى إلى تقارب حقيقي بين المنطقتين، وبلوغ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية أوجها خاصة في الفترة ما بين القرن12 و18م حيث أُنشِئت المدن التجارية وبرزت المراكز الثقافية، وظهر التأثير جلياً في الحياة الاجتماعية سواء من حيث الطعام والشراب، اللباس، النمط العمراني، نظام الأسرة.

وللتعمق أكثر في الموضوع فقد اخترت الإشكالية الآتية: ما هي أبرز مظاهر التأثير الاجتماعي لبلاد المغرب على بلاد السودان الغربي والأوسط خلال الفترة ما بين القرن12 و18م؟ وما مدى مساهمة ذلك في تمتين الروابط بين المنطقتين؟

ومن الأهداف التي تسعى الدراسة للوصول إليها تسليط الضوء على مظاهر التأثير وأهم الوسائل والأساليب المتبعة في تحقيق ذلك، كما تسعى إلى إبراز العلاقات التاريخية المتينة التي تربط شعوب المنطقة.

ولدراسة هذا الموضوع ومحاولة الإلمام به من جميع جوانبه، اعتمدت على المنهج الملائم للدراسات التاريخية، وهو المنهج التاريخي الإستردادي الذي يسترد الأحداث والوقائع التاريخية، كما

استعنت ببعض الأدوات كالوصف مثلاً لوصف الحياة الاجتماعية لبلاد السودان قبل وبعد تأثرهم ببلاد المغرب.

المبحث الأول: تأثر بلاد السودان الغربي والأوسط بالعادات والتقاليد الوافدة من بلاد المغرب.

بفعل وصول الإسلام لبلاد السودان تغيرت العديد من العادات والتقاليد الوثنية التي كانت سائدة، وتأثر السكان المنطقة بعادات وتقاليد بلاد المغرب سواء من حيث الملبس، المأكل والمشرب، الفنون الشعبية، العمران، الاحتفالات الدينية والوطنية.

المطلب الأول: التأثر من حيث طبيعة الملبس والمأكل والمشرب

الفرع الأول: من حيث طبيعة الملبس

كان للإسلام وتمازج عادات وتقاليد بلاد المغرب ببلاد السودان الأثر الواضح في تغير الهندام واللباس والاهتمام بنظافته، فالسائد في المنطقة قبل اعتناق شعوبها للإسلام أن الناس كان بعضهم عراة لا يغتسلون ولا يهتمون بالنظافة، وبعضهم الآخر كانوا يسترون جزء من أجسادهم بالجلود؛ لكن كل ذلك تغير بتأثر سكان المنطقة بالعادات والتقاليد العربية الإسلامية المغاربية، وبدءوا يقلدونهم في لباسهم والاهتمام بنظافة أجسادهم، حيث أصبح سكان المنطقة يلبسون الثياب القطنية ذات اللون الأبيض الشبيهة بالجبة والدراريع المغربية والعمامة، حيث يقول العمري في هذا الصدد واصفاً لباس أهالي بلاد السودان الغربي "...لباسهم عمايم يحبك مثل العرب، وقماشهم بياض من ثياب قطني يزرع عندهم وينسج بالرِقَة واللطف يسمى الكمبصيا شبيه بزي المغاربة جبات ودراريع بلا تفريج، ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب" (**العمري، 1985، صفحة 39**).

كما ظهر التأثر واضحاً من حيث الهندام حتى لدى الأسر الحاكمة كسلاطين كانم –برنو في السودان الأوسط، وتوسع ليشمل أيضاً الأئمة والقضاة وعلية المجتمع حيث أصبحت جميعها تحبذ الأثواب العربية المغاربية وقد ذكر ذلك الحسن الوزان عند زيارته لمناطق السودان الغربي والأوسط خلال القرن 10هـ-16م :" بأنهم يلبسون لباساً حسناً، و يتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به حتى رؤوسهم؛ لكن الأئمة يتلثمون بلثام أبيض، وأصبح اهتمامهم هو

التأنق في ملابسهم من أجل الصلاة والاغتسال يومياً والتباهي أمام مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة " (**محمدالوزان، 1983، صفحة 163**)، وامتد تشبههم بالسكان المغاربة إلى لباس المناسبات كالأعياد والاحتفالات الدينية حيث اختاروا لها اللباس الناصع البياض وتجلى ذلك في لباس الجمعة والأعياد كعيد الفطر والأضحى وقد ذكر ذلك ابن بطوطة بقوله:" ومن لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص غسله ونظفه وشهد الجمعة" (**بطوطة، 1979، صفحة 452**)

أما لباس النساء فقد أصبح محتشم بعيد عن التبرج، يستر كامل الجسد، وشبيه بلباس المرأة في المناطق المغاربية، ففي مناطق من السودان الغربي أصبح الزي يشبه الى حد كبير زي مدينة غدامس الليبية، حيث كانت المرأة هنالك تضع اللثام لتغطية الوجه وترتدي عمامة كبيرة تشبه عمائم الرجال (**السعدي، 1898، الصفحات 132–133**).

أما في السودان الأوسط فكانت النساء لباسهن من القميص الواسع، وتلف المرأة حول جسمها قطعة قماش تشبه الملاحف التي تلبسها النساء في العديد من المدن المغاربية، وتزين غالبية النساء بالخرز والودع وبعض القطع الزجاجية التي تصنع منها العقود وتلبس حول الرقبة أو أقراط تعلق في الأذن، كما اقتبس أهالي كانم وبرنو لبس الشاشية أو ما يسمى بالطاقية الحمراء من القبائل الليبية خاصة يوم الجمعة (**الحنيدري، 1998، صفحة 51**)

الفرع الثاني: من حيث الطعام والشراب

تغيرت العديد من العادات الغذائية في السودان الغربي والأوسط فابتعد السكان على جميع ما حرمه الدين الإسلامي، واستفادوا من بعض أنواع الزراعة القادمة من بلاد المغرب مثل الاهتمام بزراعة القمح وبعض أنواع الفواكه والتمور وغيرها، كما أن العديد من الأطعمة التي كانت تختص بها بلاد المغرب والبلاد الإسلامية وفدت للمنطقة مثل الكسكسي والعصيدة والأرز واللوبيا وغيرها من المأكولات (**بطوطة، 1979، صفحة 395**)، وكذلك الإفطار المكون من الحليب، والعسل، والزبدة، وشرب الشاي بالنعناع (**عابدين، 1999، صفحة 160**)، وكان يقدم على الطريقة العربية، أو كما يقدم في توات، ولم تخلوا جلسة أو سمر من صواني الشاي، والى جانب الشاي كانوا

يصنعون أنواع أخرى من المشروبات الساخنة والباردة مثل مشروب الدقنو (ماء فيه جريش الذرة مخلوط بقليل من العسل أو لبن)، ومشروب عرق البلح (يصنع من الذرة وهو أشبه بالنبيذ) الذي كان سائداً عندهم **(الغربي، 1982، صفحة 615)**.

كما عرف سكان تمبكتو الفواكه المجففة والتمور القادمة من إقليم توات، وهذا ما رفع الذوق الغذائي في الأسرة السودانية (**سعد، 2015–2016، صفحة 85**)، وتعد وجبة الأرز بمثابة غذاء أساسي في السودان الغربي، بالإضافة إلى نوع آخر من الحبوب يسمى الغوثي، فهذا الأخير يدرس ويخرج منه ما يشبه حبة الخردل أو أصغر، وهو أبيض اللون فيغسل ويطحن وبعدها يعجن ويعمل منه الخبز ويؤكل (**العمري، 1985، صفحة 62**).

أما أهم اللحوم التي أصبحت تعرف إقبالاً كبيراً: لحم الغنم والبقر والجمال والدجاج والحمام، والسمك، وأصبح الكسكس المتخذ من القمح والشعير والذرة الأكلة المعتمدة في الموائد وفي كثير من الأحيان لا يخلوا من اللحم (**العمري، 1985، صفحة 63**) وفي الوجبات اليومية أدخل تقليد جديد كان معروف عند المغاربة وهو وجبة العشاء، وهذا التقليد لم يكن معروفاً من قبل في بلاد السودان (**الغربي، 1982، صفحة 612**)، فأصبح عدد الوجبات ثلاثة: إفطار الصباح، الغذاء، العشاء.

المطلب الثاني: الفن المعماري

تأثرت بلاد السودان الغربي والأوسط بالفن المعماري لمناطق الشمال الإفريقي؛ فبعدما كانت المنازل تبنى من أغصان وجلود الحيوانات على هيئة خيام، أصبح البيت أشبه بما هو في المناطق المغاربية وبعض البلاد العربية، فهو يتكون من طابق واحد، ويتم الدخول إليه عبر سقيفة تؤدي إلى فناء مربع تطل عليه أبواب تؤدي إلى الحجرات والمخزن، أما الجدران فتعلوها تزيينات على شكل مثلثات أو أسنان (**عابدين، 1999، صفحة 163**)

وظهرت الهندسة الإسلامية بوضوح في المساجد والمنارات الإسلامية العلمية والقصور، وكان البناء يختلف في تطوره من مدينة لأخرى، وأصبح البناء بالحجر والطين والآجر والكلس، وزينت المنازل والمساجد بكتابة آيات قرآنية على جدرانها، كما استعمل في التزيين أيضاً الزجاج الملون والنقش، وأصبحت السكنات تفرد بها جهة خاصة بالضيوف (**مسعود، 2013، صفحة 190**)

وما ميز المدن أنها أصبحت نظيفة وفي تخطيطها أشبه بالمدن المغاربية، وأصبحت أكثر ملائمة للأغراض الاقتصادية، حيث بنيت المخازن والمتاجر والحوانيت إلى جوار المساجد، وبدأ ملوك بلاد السودان في استجلاب مهندسين معماريين من بلاد المغرب خاصة بعد تأثرهم بالنمط المعماري المغاربي والأندلسي، ومن هؤلاء المهندسين نذكر أبو إسحاق الساحلي، وأيضاً إدريس المراكشي حيث كان لهما الفضل في إدخال طرق جديدة في البناء بالاعتماد على الكلس والآجر وإدخال الألوان الزاهية، ؛ وكانت البيوت تؤثث بالأقمشة القادمة من بلاد المغرب، والحيطان كانت مزينة بزخرفة ونقوش وآيات قرآنية، وادخل للمنطقة نظام القباب (**مسعود، 2013، الصفحات 192–193**).

المبحث الثاني: تغير نظام الأسرة وترقية وضعية المرأة

إن الزواج هو النواة الأولى لتكوين الأسرة، فكان قبل انتشار الإسلام في المنطقة محصوراً داخل العشيرة الواحدة وذلك لأجل الحفاظ على تماسكهم وكانت تربطهم رابطة الدم (**حسن، صفحة 240**)، وكان النظام الأمومي هو السائد في الأسرة حيث الأم هي ربة البيت، و كان الابن عندهم ينسب لأمه لا لأبيه، والوراثة تكون من جهة الأم، وقد ذكر بن بطوطة ذلك حيث قال:" ولا ينتسب أحدهم لأبيه، بل ينتسب لخاله، لا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه..."؛ ولكن بوصول الإسلام للمنطقة أصبح الفرد ينسب لأبيه بدل أمه، وأصبح بعضهم يسمون بأسامي عربية إسلامية (**اسماعيل، 2018، صفحة 115**) .

كما أن الحياة الزوجية أصبحت أكثر تنظيماً، حيث كانت حياتهم في السابق أشبه بحياة حيواناتهم التي يرعونها، حيث يسودها التوتر والانحلال وعدم الارتباط بضوابط رسمية، فالمرأة يجتمع عليها أكثر من رجل، وقد يصل إلى اثني عشر رجل في كوخ واحد، والرجل يجتمع مع أكثر من امرأة ، وكانت الإباحية سائدة بين الجنسين (**مسعود، 2013، صفحة 194**)

غير أنه بتغلغل الإسلام بدا واضحاً ترسيخ ضوابط الشرع في مجال الزواج ونظام وعدد الزوجات، وأصبح الزواج وفق الشريعة الإسلامية، اذ أن المهر أصبح من حق المرأة، أما مؤخر الصداق فكان حقاً أساسياً تحصل عليه الزوجة عند الطلاق، وقد كان الزواج يجري في مراسم

احتفال كبيرة في مدة أسبوع أو أكثر (**قداح، صفحة 181**)، كما هو الحال في أغلب مناطق توات اليوم.

وكان الإسلام قد أحاط الأسرة السودانية بسياج من الحصانة، فكفل للأبناء التربية الصحيحة، ووضع نظاماً عادلاً لتوزيع الثروة بين أفراد الأسرة جميعاً إذا مات أحد أفرادها، بعدما كان النظام المحلي يخص ابن الزوجة الأولى بالتركة كلها، وأصبح الطفل يتلقى تهذيبا سليماً منذ صغره وذلك قبل أن تتسرب له العادات السيئة (**بشار، 2013، صفحة 170**).

كما تعلم أولئك الأطفال من الكتاب تعاليم الإسلام، فطاعة الوالدين وعدم عصيانهم واجبة، وكان أهل السودان يأخذون أبناءهم للكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، والقرآن الكريم واللغة العربية، وهذا ما شجع على بناء المدارس من طرف السلاطين، حيث بنى "المنسى موسى" مدرسة كبيرة لهذا الغرض حيث أن التعليم فيها كان إجبارياً، وبهذا فإن انتشار اللغة العربية كان مصاحباً لانتشار الإسلام، وهذا ما جعل الكثير منهم يجيدونها الى جانب لغتهم المحلية (**الحريري، 1987، صفحة 213**)، وكانت طريقة تعليمهم في الكتاتيب مشابهة لما هو سائد في بلاد المغرب العربي، حيث كان الصبيان يكتبون على ألواح خشبية، ويرددون آيات القرآن الكريم وراء معلمهم، ويستمرون هكذا الى غاية ختمهم كتاب الله حيث يقام حفل كبير بمناسبة ذلك (**شكري، 1999، صفحة 212**).

لقد حرص الكثير من الحكام والسلاطين ببلاد السودان على نسب أنفسهم للعرب، وذلك لتعزيز مكانتهم بين أقوامهم، وكانت هناك علاقات مصاهرة بين التجار العرب والحرفيين مع بنات مملكة مالي الإسلامية، حيث أن السلطان يزوج بعضهم ببنات المملكة (**كربخال، صفحة 457**)، ويعتبر هذا من آثار اختلاط الزنوج مع العرب المسلمين، وهذا نظراً لوحدة العقيدة وتقارب النظم الاجتماعية، وهذا ما شجع على الزواج المتبادل مما أوجد أجيالاً عربية افريقية، وكانت أهم علاقات المصاهرة مع المغاربة، حيث تقرب أغنياء الجالية المغاربية مع أغنياء الأسر السودانية، ومن الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية، وظهر جيل جديد هجين، وتغيرت الألوان نتيجة لهذه المصاهرة (**مسعود، 2013، صفحة 195**)

وحدث كثير من الاختلاط والتصاهر بين مناطق الشمال والسودان، ومن الأدلة على ذلك أن بعض الحكام في الشمال كانت نساؤهم من الزنجيات، هذا فضلاً عن المواطنين أنفسهم،

فمثلاً كان يوسف باشا القرامنلي والي طرابلس الغرب متزوجاً من مريومة البيضاء ومن ثلاث أخريات كن إماء قبل الزواج وحررهن، بل إحداهن وهي زهيرة السوداء كانت تتمتع بشخصية قوية وغير عادية كما جاء في تقرير أحد الأوروبيات كانت قد زارتها عام 1246هن، وكذلك تزوج بن أبي الضياف المؤرخ التونسي من زنجية وهذا ما يؤكد على التقارب الكبير الذي أصبح واقعاً بين الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء. (**بعيو، 1972، الصفحات 121–122**)

من جانب آخر تزوج الشيخ محمد الأمين الكانمي أصيل فزان والذي عرف برحلاته العديدة الى بلاد السودان الأوسط من إحدى بنات أمراء برنو (**التميمي، 1981، صفحة 15**)، كما تزوج الماي أحمد أمير برنو من السيدة زيلة الطرابلسية، وتشير الكتابات أن ملوك برنو كانوا يزوجون بناتهم من الجاليات العربية المقيمة ببلادهم (**التميمي، 1981، صفحة 39**).

أما مكانة المرأة في بلاد السودان، فقد وصلت بفضل الإسلام إلى مكانة مرموقة بعد أن كانت لا قيمة لها تباع تشترى في الأسواق؛ وكانت الجواري يظهرن عاريات أمام الملأ، ويدخلن على السلطان وأمرائه يحملن الطعام وهن عرايا، حيث يقول ابن بطوطة في ذلك " كان الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات، ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن على تلك الصورة، ودخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات..." (**بطوطة، 1979، صفحة 200**).

وبانتشار الإسلام أصبح للمرأة أسرة، وأصبح ممنوع الاختلاط بين الرجال والنساء، وتحددت طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في فترة خطوبتهما، وانتظمت العلاقة بشكل واضح ودقيق، وأصبح للمرأة العديد من الامتيازات والحقوق، وكان عليها أن تحافظ على شرفها وعفتها من خلال عدم التبرج والحذر من الزنا والمصاحبة، وأصبحت مساوية للرجل، تتأنق في ملابسها بعد تنظيفها جيداً، وتغتسل بشكل مستمر، لأن الشريعة الإسلامية تؤكد على الطهارة التي تعد أساس مهم من أسس الد

أما في مجال العمل فقد أصبح العمل يتماشى مع أنوثتها وقدرتها، عكس ما كان سابقا في عهد الوثنية، فأصبحت تقضي أغلب أوقاتها في البيت تطحن الدقيق وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأبناء، وتحيك الصوف والقطن، وتجلب الماء من الآبار ، وتجلب الحطب من الغابة،

وفي القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول، وتصنع الغذاء وتحمله لزوجها في الحقل، بل هناك منهن من يقمن بالأعمال التجارية، ويختلف العمل بحسب طبيعة المنطقة؛ فنساء" أودغست" مثلاً أشتهرن بأنهن طباخات ماهرات يحسن صنع الحلويات المختلفة (**البكري، 1957، صفحة 64**) .

ويلاحظ أن الأعمال التي تقوم بها المرأة السودانية تتشابه الى حد ما مع ما تقوم به المرأة في شمال افريقيا وخاصة المرأة الريفية' سواء في المغرب أو توات أو فزان أو طرابلس، ولا زال في فزان الى اليوم من الأسر الفزانية التي أصولها تعود الى السودان الغربي والأوسط مرتبطة جذورهم ببرنو وكانم، وأسر أخرى تعود جذورها الى دارفور، زغاوة، فور، مساليت (**سليمان، 2007، صفحة 125**).

المبحث الثالث: تأثر بلاد السودان ببلاد المغرب في طريقة إحياء المناسبات الدينية والحفلات الاجتماعية

كانت المناسبات الدينية قبل اعتناق المنطقة للإسلام ذات طابع وثني ترتكز على تقديم الذبائح كقرابين للآلهة ويكثر فيها الاختلاط والمحرمات، وما ميز الأفارقة ميلهم للبهجة والمرح وكثرة الحفلات بمناسبة أو بدونها، لكن بدخول المؤثرات المغاربية واعتناق المنطقة للإسلام كانت الجالية العربية والإسلامية من تجار وفقهاء وعامة يحيون المناسبات الدينية كشهر رمضان وعيد الفطر والأضحى والحفلات الاجتماعية وفق ضوابط شرعية، وساهموا في نقلها للمجتمعات السودانية التي عاشوا بها(**مسعود، 2013، الصفحات 195–196**)

المطلب الأول: إحياء شهر رمضان

لقد حظي هذا الشهر المعظم باهتمام خاص في السودان الغربي والأوسط، حيث يقوم العلماء بقراءة كتاب صحيح البخاري على الحاضرين طيلة الشهر ويختمونه في السابع والعشرين منه، وممارسة الطقوس الدينية والشعائر المقامة على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وما ميز هذا الشهر أيضاً الاهتمام بالقيام من تراويح وتهجد في العشر الأواخر، وتقديم الصدقات طيلة الشهر، وكان الناس يأتون إلى المساجد قبل غروب الشمس بالحبوب والتمر والخبز والحساء، ويوزعون ذلك على الفقراء وعابري السبيل، وفي ليلة القدر يأمر بعض كبار الناس بطبخ الطعام ثم

يجعل المطبوخ في مائدة ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان الكتاب ويأكلونها والقدح على رأسه، وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيماً لهم (**الغربي، 1982، صفحة 326**).

وهذه العادات لازالت إلى اليوم في بعض المناطق في بلاد السودان وفي بلاد المغرب كمنطقة توات مثلاً وما يميزها من كثرة الموائد الموجهة لعابري السبيل، والصدقات المتنوعة، وإحياء ليالي رمضان وليلة سبعة وعشرون منه بقراءة القرآن والقيام إلى غاية الفجر، حيث تقسم أحزاب القرءان على القراء تقسيما ترتيبياً من سورة البقرة إلى سورة الناس على حسب كل فرد وما يحفظه ليؤم به الناس، ويستمر ذلك من صلاة المغرب إلى صلاة الفجر.

المطلب الثاني: الاحتفال بعيد الفطر والأضحى

في عيد الفطر وعند التأكد من ظهور هلال شوال، يقصد العدول دار السلطان أو القاضي للإدلاء بشهادة رؤية الهلال ليتم إعلام الناس، حيث يتم في بعض المناطق إطلاق طلقات من المدفع وهذه العادة كانت سائدة في البلاد المغاربية، ثم تدق الطبول وتطلق الأبواق، وتحمل الفوانيس المضاءة، وفي ليلة العيد يقضي الناس جزء من وقتهم في السمر والاحتفال وقد يطول ذلك، كما يحرس الناس في يوم العديد على لبس الجديد بألوان مختلفة (**مسعود، 2013، صفحة 198**).

أما عيد الأضحى فإن الناس يضحون فيه في الغالب بالإبل أو الجواميس أو البقر أو الغنم أو الماعز، كل حسب قدرته ويتبادل الناس الهدايا من اللحم، كما جرت العادة في هذا العيد أن يقوم المداحون بأداء أغاني المديح والشعر، والملاحظ أنها كانت تؤدى باللغة العربية، حيث يقول ابن بطوطة في ذلك:" حضرت بمالي عيد الأضحى والفطر؛ فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من دار السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان، وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان وكانوا يقومون بالتكبير والتهليل عند خروج السلطان، وكان بين يديه العلامات الحمر من الحرير، ونصب على المصلى خباء فدخل السلطان إليها وأصلح من شأنه، ثم خرج للمصلى فقضيت الصلاة والخطبة..." (**بطوطة، 1979، صفحة 244،255**).

وكان الشعراء يوم العيد يقفون أمام السلطان وينشئون الأشعار التي هي عبارة عن نصح ووعظ وتذكير بآثار من سبقوه، حيث يوصونه بالاقتداء بهم والسير على خطاهم (**عابدين، 1999، صفحة 159**).

المطلب الثالث: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يكتسي طابعاً فريداً في بلاد السودان، وهو من المناسبات العظيمة الشأن، حيث كان الناس رجالاً ونساء ومعهم حرائرهم وإمائهم يلبسون أبهى الألبسة، يخرجون ليلة المولد النبوي الشريف إلى الشوارع، ويأخذون بضرب الطبول، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كانت المساجد تزين، ويقوم العلماء بإلقاء المواعظ والدروس على الناس والتعرض لحياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته (**مسعود، 2013، صفحة 199**).

وقد روى ابن بطوطة قصته عند دخوله لبلد من بلاد السودان وكان ذلك موافقاً ليوم المولد النبوي الشريف، فقُدم له مشروب يسمى بالدقنو، وقُدم له بطيخاً أخضر، وطعام ، حيث أكرموه نظراً لهذه المناسبة الكريمة . (**بطوطة، 1979، صفحة 63**) .

كما كانت هناك احتفالات دينية أخرى كالاحتفال بختام القرآن الكريم كما في بلاد المغرب تماماً حيث تقام وليمة كبيرة على شرف الصبي الخاتم لكتاب الله، ويستدعى الضيوف وتلقى المحاضرات، ويلبس خاتم كتاب الله أحسن الثياب ويحمل على دابة ويطاف به في الحي (**سعد، 2015–2016، صفحة 95**) وكان الاحتفال أيضاً برأس السنة الهجرية وعاشوراء، وبذكرى مرور أربعين يوم على وفاة أحد العلماء أو كبار القوم (**الغربي، 1982، صفحة 621**)، وكل هذه الاحتفالات كانت بفعل التأثيرات الإسلامية القادمة من بلاد المغرب.

خاتمة:

وفي الأخير وبعد عرضنا للتأثيرات الاجتماعية لسكان الشمال الأفريقي على بلاد السودان الغربي والأوسط، وخاصة بعد وصول الإسلام للمنطقة عن طريق التجار والدعاة فقد وصلنا للاستنتاجات الآتية:

– تأثر بلاد السودان بالثقافة العربية الإسلامية الوافدة من بلاد المغرب، حيث أصبح المجتمع في هذه البلاد يشبه لحد كبير المجتمعات المغاربية من حيث اللباس والطعام والاهتمام باللغة العربية وشعائر الدين الإسلامي.

– تأثر بلاد السودان الغربي والأوسط بسكان الشمال الأفريقي، حيث ظهر ذلك بشكل واضح من خلال الحياة الأسرية وما يرتبط بها من زواج، وطلاق، وتربية الأبناء، بالإضافة للمرأة التي حظيت بحقوقها ومكانتها وحرمتها وقدسيتها.

– كان لتركيبة الفرد السوداني المرحة والميالة للبهجة والفرح دعماً أساسياً في التقاط المناسبات والاحتفال بالأعياد الدينية والحفلات الاجتماعية وفق ضوابط شرعية.

من خلال هذه الدراسة اقترح ضرورة تكثيف الملتقيات الوطنية والدولية التي تهتم بالعلاقات بين الدول المغاربية والإفريقية في جوانب متعددة، كما يجب توجيه الطلبة والباحثين إلى ضرورة التعمق أكثر في دراسة هذه العلاقة وتحليلها ورصد ايجابياتها مع اقتراح الآليات المناسبة لاستعادة تواجدنا الثقافي والاقتصادي والديني في بلاد السودان.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– الكتب:

أبي عبيد البكري، (1957). المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، بغداد، مكتبة المثنى.

أحمد شكري، (1999)، الإسلام والمجتمع السوداني، ابوظبي، المجمع الثقافي.

أكرم الملاح بشار، (2013)، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي، ط1، عمان ، دار غيداء للنشر والتوزيع.

الحسن محمد الوزان، (1983)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر،ج1، ط2. بيروت، دار الغرب الإسلامي.

محمد الغربي، (1982)، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر.

محمد بن عبد الله ابن بطوطة، (1979)، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تعليق وتقديم علي المنتصر الكتاني، ج2. بيروت، دار صعب مؤسسة الرسالة.

محمد عيسى الحريري، (1987)، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، الكويت، دار القلم.

مرمول كربخال، إفريقيا، تر :عمد حجي، عمد زنبير،ج3، الرباط، دار المعرفة للنشر والتوزيع.

مصطفى عبد الله بعيو، (1972)، المختار في مراجع تاريخ ليبيا. بيروت، دار الطليعة.

نبيلة حسن، في تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار المعرفة الجامعية.

نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

عبد الجليل التميمي، (1981)، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث، تونس، مطبعة الاتحاد التونسي للشغل.

عبد الرحمان ابن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، (1898)، تاريخ السودان، أنجي، طبعة المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية, بمطبعة بردين.

سامعي إسماعيل، (2018)، دراسات في تاريخ العلاقات بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي والأوسط، قسنطينة، مؤسسة حسن رأس لجبل للنشر والتوزيع.

سعيد عبد الرحمان الحنيدري، (1998)، تطور الحياة السياسية في تشاد، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، (1985)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تعليق أيمن فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

ب–المقالات:

خالدي مسعود. (12 نوفمبر, 2013). أثر الجاليات العربية والبربرية على الحياة الاجتماعية في السودان الأوسط والغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين / الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد 11، العدد 01.

ج- الأطروحات والمذكرات

أحمد فتوح عابدين، (1999)، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين 16-17م. أطروحة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة.

الحافظ عبد الكريم سليمان، (2007)، الدور السياسي و الحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري و أثرة في دول الجوار، رسالة ماجيستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، السودان.

فرح سعد، (2015-2016)، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، أطروحة دكتوراه، جامعة احمد بن بلة، كلية التاريخ والحضارة الإسلامية، وهران.